

الإشارات الهادية للقيادة الإدارية  
من الكتاب والسنة

نماذج القيادة الإدارية في الإسلام

فضيلة الشيخ / جمال الدين السيروان

## بواعث البحث

واقع مريع ، وتخلف مريع ، وجود قاتل وأدواء مستعصية ،  
وعلل مرذولة ، وغياب عن الوعي ، وذهول عن الحقيقة ، واستغراق  
في الوهم ، ومجادلة بالباطل وتنظير من غير تأطير ، وعواطف  
جياشة بمنأى عن التعقل ، ولهات وراء الفاني ، وتعطيل للطاقات ،  
وواد للإمكانيات .

ذلك كله ينخر في جسم أمة الحق ، أمة الهداية ، أمة سيد  
الأنبياء وخاتم المرسلين ، تلكم التي وصفها ربها بأنها خير أمة  
أُخرجت للناس ..

ومن تمام المأساة أن هذه الشروخ الخطيرة في جسد أمتنا بدت في  
عصر طبيعته التسارع الجامح ، والتسابق الهائل ، والتطور المتلاحق ،  
والاكتشافات المتعاقبة ، والتكنولوجيات المتتابة ، مع ظهور نظريات  
فكرية جديدة ، وأيدولوجيات عديدة .. تطرح في جنبات العالم عبر وسائل  
اتصال مذهلة ضيعت مساحة الكوكب الأرضي حتى بدا وكأنه بيت واسع  
الأرجاء ذو غرفات متجاورة .. فتذيع نظرية ثم لا تلبث أن تذوي حتى  
تظهر مرة أخرى وهكذا دواليك .

وأما أمتنا المسلمة إزاء هذه الحالة المؤسفة ، والعلة الأليمة ..  
راكدة في فكرها ، جامدة في حركتها ، ومضطربة في التعامل مع  
تلك الأحداث ، غائبة عن إدراك يأخذ بيدها إلى سواء السراط .. رغم  
أن في أعماق هذه الأمة من طاقة الانطلاق وثروة التطور ، وقدرة  
الإطلاع ، وإمكانية التعايش مع المُستجد ما يؤهلها لتجد لنفسها  
مكاناً في هذا العصر المتوهج ، والزمن المتأجج والسرعة القصوى  
والتسابق الحضاري ..

من أجل ذلك نظر جملة هم أمتهم إلى هذا الواقع المحزن  
مستشعرين ضراوة الأحداث المحيطة بهم ، ومدركين خطورة  
المخططات التي تدبر لهم ، نظروا في التماس حل يُخرج الأمة من  
وهبتها وينقذها من ضياعها .. وتوصلوا من خلال البحث إلى نظرتين  
متعارضتين في الخروج من هذا المأزق العسير ..

أولى النظرتين : فتمعن في عكس هذا الاتجاه وذلكم أن المنطلق  
يكون من فهم الإسلام فهماً واعياً ، وأن الإسلام دين المعرفة ، وباعث  
الفكر ، والداعي إلى النظر في آيات الله في الأنفس والآفاق ، وأن  
العلماء في أي فن لهم مكانتهم عند ربهم ..

وهكذا يدعو الله سبحانه وتعالى [ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي  
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ] " فصلت : ٥٣ "

إذن لابد من العود إلى أهداب الدين الحنيف ، وإلى الاستمسك  
بأصوله ، والبحث عن مقاصده ، والقيام بواجب الموقف وهو التحري  
للحقائق ، والكشف عن المخبوء ، والمسارة إلى سبيل التطور ضمن  
سياق الإيمان الواعي إلى قراءة السنن في كل ذرة من الكون ونظرة  
إلى التاريخ تؤكد هذا المنطلق حيث استطاعت أمتنا الإفافة من سباتها  
والانطلاق في ميادين المعارف وأهل الحضارة الحديثة آنذ يرشفون  
تحت قيود الجهل والظلم والتخلف حيث يستولي على القرار لديهم رجال  
الدين عندهم فحضارة الإسلام السابقة التي كانت المعين العذب والنبع  
الدفاق لحضارة اليوم ..

من خلال النظر المتأنى ، والبحث الدقيق ، نجد أنفسنا متجاوزين  
للنظرة الأولى / اختصاراً للوقت / حيث أن قناعة المخاطبين لازمة

بفسادها .. غير أننا نقف عند الثانية بتأمل واعٍ ، ونظر محكم وذلك لنعقل الغاية المرجوة ، ثم لندرك السبل المفضية إليها ..

لا جرم أن دفع الأمة المسلمة للاهتداء بمنهج الله والاصطباغ بشريعته ، مطلب يقرب به عقلاء هذه الأمة ، لكن الفجوة الكبرى كامنة في تنزيل هذه الغاية في عالم الواقع ، وفي قراءة الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية والسياسية والنفسية قراءة معبرة .. حينئذ تتحول الفكرة إلى واقع ملموس وذلك عبر مجتمع يملك إرادة الفعل ، وقراءة سنن الآفاق ومن هنا تبرز القيادات الواعية ، والنماذج الفريدة ..

#### السبيل إلى الحل

لا ريب أن الداء العضال الذي استفحل ، والمرض الكئود الذي استشرى جدير بأن يُستأصل عبر عمليات جراحية فائقة العناية ، وذلك ببتير دواعي المرض أولاً ، ثم عزل الداء في أضيق مكان ، ثم الإجهاز عليه حتى لا يبقى له باقية ..

إن مجتمعنا الإسلامي المعاصر يعاني أدواء خطيرة ، ومفاهيم مقلوبة ، ونكسات فكرية ، وأوهاماً مقلقة ، وسلوكيات مردولة ، وجموداً مخزياً ، وانفلاقاً شنيعاً وذلك في شتى العوالم ، ومختلف السبل ، فكراً متكللاً ، وشعوراً خامداً وحركة ميتة .. إزاء هذا يبرز مطلب التغيير الذي هو فرض الوقت ، وواجب الواقع وذلك طبق قوله سبحانه وتعالى [ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ]

" الرعد : ١١ "

إن الآية الكريمة توضح أن الحل كامن في مرتكزين اثنين .. أولهما : سلامة المعتقد وصفاء الرؤية ، وصحة المسلك ، وذلك بأن

الله تعالى جل شأنه هو الصانع [ إن الله لا يغير ] ، وثانيهما : الأسباب المتخذة ، والأساليب المبتكرة ، والجهد البشري والتفوق الإنساني [ حتى يغيروا ما بأنفسهم ] .

إن ارتباط المرتكزين وانسجامهما يفضي إلى تحقيق التغيير ولئن كان المرتكز الأول يُعتبر بداهة بأنه مُحقق غير أنه يحتاج إلى زيادة صقل ، وعميق تأمل ، وزيادة يقين .. لكن المرتكز الثاني هو المفقود في واقع أمتنا حيث تفشى شلل الإدارات وانعدام المسئوليات ، وتضييع الأمانات .. فلا بد أن يبدأ التغيير في الإنسان [ فكراً ومفاهيم ] وذلك في عالمي الغيب والواقع ، وذلك ليبدو الترابط الكامل والانسجام التام ، والتوائم الرائع بين ما يكمن في النفس من اعتقادات وأفكار — عالم القيم — وبين ما يظهر من السلوكيات النابعة من هاتيك التصورات — عالم الواقع .

### خطوات العمل

من الواضح أن البداية الصحيحة ، والدواء الناجح للخروج من هذا المأزق العسير هو بناء قيادات واعية ، وإخراج نماذج بشرية تمثل المنهج الفكري في قالب واقعي وأن من المفيد في هذا المقام أن نتوجه عبر التاريخ حتى نقف في رحاب النبي القائد صلى الله عليه وسلم حيث واجه مجتمعا بشرياً نخر الفساد فيه من كل جانب ، وسرى العطب إليه من كل ناحية .. تراكت فيه أفكار معطوبة ونظرات مردولة .. مما أدى إلى أن يغدو المجتمع كسيحاً لا حراك فيه ، جامداً لا تطور لديه ، غافياً لا يقظة عنده حيث راح ينهش في لحمه ، ويهشم عظامه بيده ، ودماء سائلة وأرواح مزهقة ، وأموال ضائعة ، وطاقات مُعطلة ، وإمكانات مجمدة ، وتفاخر بالأوهام ، واستعلاء بالباطل .. أجل في هذا لطقس

الكئيب ، واليأس القاتل برز نور النبي صلى الله عليه وسلم وانطلق جهده منذ البداية في عملية البناء ، بناء القادة الذادة ، والأساتذة الرادة ، ابتعث فيهم مواهب كامنة وأطلق من نفوسهم طاقات خفية ، فصار الأمي فيلسوفاً ، والجاهل عبقرياً ، والكسول بطلاً ، والمتخلف متنوراً ، وهذه شهادة التاريخ لأولئك الذين كانوا يفقدون كل وسائل الانطلاق حين جاءتهم يد القيادة البانية ، والحكمة البالغة ، والرعاية الفائقة ، فأخرجت منهم هؤلاء الميامين في كل مقام فبنوا حضارة شامخة مازال المسلمون يعيشون على ذكراها ..

#### مواصفات القائد

أولاً : ملكات القيادة كسبية أم وهبية ؟

لقد اختلف الباحثون حول سمات القائد وصفاته هل هي كسبية أو وهبية .. وخلاصة ما أميل إليه أن جزء منها وهي لا مرأى فيه حيث يثبتته الواقع وهو من أصل التكوين مثل الصفات الجسدية .. قامة فارعة ، شكلاً جميلاً ، جاذبية أخاذة ، رخامة في الصوت ... الخ . ولاشك أن هذه الصفات لها معيارية في الإعانة على العمل ، والدخول إلى النفوس ، ومن هنا عصم الله أنبياءه ورسله في عالم بشريتهم من كل مرض عضال يفضي إلى .. تعطيل عضو ، أو إعدام حاسة وذلكم هو الكمال البدني .

وأما الكسبي فهو الميدان الواسع الأرجاء والذي تفجر من خلاله طاقات كامنة ، وإمكانيات غائرة .. ولقد أثبتت الأبحاث حديثاً أن الإنسان لم يفجر طاقته إلا جزء يسير وأن الكامن في الأعمال أكثر مما يظهر ..

تصديق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صقل طاقات ،  
واستخرج إمكانيات وأنشأ من خلالها حضارة فريدة لم ينعم على  
البشرية بمثلها ..

ثانياً الصفات التي يجب توافرها في القائد  
(١) الرؤية الواضحة

إن من عدم المعرفة الدقيقة ، والبحث الاستقصائي ، والدراسة  
الشمولية عن مجتمع يريد مخاطبته يحكم على عمله بالفشل منذ البداية  
حيث لابد للقائد المحنك من أن يمتلك رؤية مشرقة ومعرفة واضحة  
للبيئة التي يعاصرها ، وللمخاطبين الذين يحدثهم ، حيث إن هذه  
المعرفة هي السبيل المؤدية إلى التوائم بين المُخاطب والمُخاطَب .. إذن  
لابد من عملية الشهود الذي عبر عنه القرآن الكريم حين ذكر عن  
تكليف الله تعالى لرسوله العظيم صلى الله عليه وسلم [ يا أيها النبي  
إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ]  
" الأحزاب : ٤٦ " .

نلاحظ في الآية الكريمة تقديم وصف الشهادة على البشارة والندارة  
والدعوة إلى الله تعالى وذلك بقوله / شاهداً / .. حقاً إن ممارسة دعوة  
من غير شهود كمعالجة مريض من غير معاينة .. فالشهود عمل علمي  
دقيق ودراسة واعية موضوعية ، وتعرف على العلل ، وكشف للأدواء  
وما ذاك إلا لبداً الداعية الطبيب ، والقائد النجيب بالأهم فالمهم ،  
وبالأسلوب المناسب والوقت الملائم والطريقة الممكنة والباحث في  
سيرته صلى الله عليه وسلم يرى أنه أوتي جوامع المعرفة ، وكامل  
المكنة في هذا الجانب .

✽ معاشته لقومه في مكة مصابراً نفسه وداعياً أتباعه إلى كظم الغيظ ، وحبس النفس عن الغضب ، والثبات على المبدأ فبلال يقول [ أحد أحد لا أشرك بربي أحداً ] وهو يعاني من ظلم المتجبرين ، وعتوا المتغطرسين ، وخباب يقول [ حسبي الله ونعم الوكيل ] وظهره يكوى بالسفافيد التي تركت آثارها أخاديد على بدنه . ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى أن السبيل المؤدي إلى النصر هو الصبر .. ولما لم يسجل النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه الكرام أي رد اعتداء على قریش كان ذلك داعياً إلى الكثير منهم ليفكر في الانتماء إلى هذا الرحب الكريم .

✽ صقله للمجتمع المدني ومؤاخاته للأئصار .

✽ دخوله مكة منتصراً قائلاً [ ما تظنون أي فاعل بكم ] قالوا [ أخ كريم وابن أخ كريم ] فقال [ اذهبوا فأنتم الطلقاء ] .

✽ اجتذابه الشخصيات متغيرة في تطلعاتها .. فالوليد ابن الوليد يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو لأخيه خالد بالهداية فيجيبه [ إن له عقلاً يهديه للإسلام ] ، وصفوان بن أمية أعطى من المال ما دعاه إلى أن يقول [ لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وإنه لمن أبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى إنه لمن أحب الناس إلي ] .

✽ حين أرسل معاذاً إلى اليمن زوده بتوجيه رائد فقال له [ إنك تأتي قوماً أهل كتاب ] وهذه إشارة موحية وتنبيه واضح إلى معاذ أن يتزود بمعرفة تتناسب ومعرفة أهل الكتاب حتى يتقن الحديث معهم ويعرف من أين بدء الحوار .



✽ إن الله تكرم على عباده بأن أرسل في كل بيئة قائداً يهديهم سواء الصراط فقال سبحانه [ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ] " فاطر : ٢٤ " غير أن الله عز وجل ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه وذلك لمعرفة البينة وإدراكه الشامل لحال مجتمعه فقال تعالى [ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ] " إبراهيم : ٤ " .

(٢) الحنكة في التعامل مع المخاطبين

القائد الماهر هو الذي يجيد لغة التخاطب مع الآخر وذلك من خلال حسه المرهف ، وطبعه الشفيف ، وذكائه المتوقد ومعرفته الدقيقة ، وخبرته الواسعة في حالة المخاطب وهذه حالة الحكمة ، وما الحكمة إلا وضع الشيء في محله فما يصلح لإنسان لا يصلح لآخر وما يصلح لإنسان في وقت قد لا يصلح له في وقت آخر .. ولذلك ذكر الله تعالى منته على القادة المحنكين فقال [ فيؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ] " البقرة : ٢٦٩ "

ودعا الله تعالى رسوله الحكيم صلى الله عليه وسلم بقوله [ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن ] " النحل : ١٢٥ " .

وطالب عباده الدعاة والقادة الأبرار بقوله [ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ] " الإسراء : ٥٣ " .

إن المتتبع لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليجد مختلف أنواع الخطاب الراقى والمناسب لحال المخاطب .

(٣) الصبر والتحمل وعدم اليأس

إنه لتحقيق بالقائد الماهر ، والرئيس المحنك أن يكون متحلياً بسمه الصبر حيث أن الصبر من أعظم الصفات ، إذ أن القائد الملول يوحى

إلى من تحته بيأس مرير ، وكسل قاتل .. وإن من أسماء الله الحسنى [ الصبور ] ، وهو سبحانه يحب الصابرين وهو جل وعز مع الصابرين ، وهو تقدست أسماؤه يبشر الصابرين بأفضل النتائج وأعظم المآثر .. وهذه آيات تشير إلى ذلك قوله تعالى [ والله يحب الصابرين ] " آل عمران : ١٤٦ " وقوله [ إن الله مع الصابرين ] " البقرة : ١٥٣ " وقوله إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب [ " الزمر : ١٠ " وقوله [ وبشر الصابرين ] " البقرة : ١٥٥ " إلى غير ذلك من نصوص كثيرة في هذا السياق .

إن من تتبع نصوص القرآن الآمرة بالصبر يلحظ توجه الخطاب مباشرة إلى النبي القائد علماً بأن الله تعالى قد منحه أعلى الرتب وأسمى المقامات في هذا السياق وفي سواه وأتم له نعمة الخلق العظيم إلا أن الله تعالى يرغب عباده بالاعتداء بالأسوة العظمى يقول الله تعالى [ فأصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتبه ربه فجعله من الصالحين ] " القلم : ٤٨ - ٥٠ " .

كما خاطبه سبحانه بقوله [ فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ] " المزمّل : ١١ " ويضرب الله تعالى لرسوله الكريم الأمثال فيمن سبقه من الرسل والأنبياء وأنهم بلغوا الأمانة ، وقادوا أممهم إلى طريق السلامة لكنهم أؤذوا وعورضوا فصبروا وهو شأن القادة الحكماء قال الله تعالى [ ولقد كذب رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأؤذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين ] " الأنعام : ٣٤ " ثم يأمر الله تعالى رسوله الأعظم بالبتأسي بمن سلف من إخوانه المرسلين فيخاطبه بقوله [ فاصبر كما صبر أولو

العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا  
إلا ساعة من نهار فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ] " الأحقاف : ٣٥ "   
إثر هذا كله يسلى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ويبين له أن  
الجهد الخالص لله هو المقبول عنده سبحانه [ فذرهم حتى يلاقوا  
يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم  
ينصرون وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون  
واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل  
فسبحه وإدبار النجوم ] " الطور : ٤٥ : ٤٩ " ثم يؤكد المولى سبحانه  
وتعالى على نبيه العظيم صلى الله عليه وسلم أن يكون صبره صبراً  
جميلاً وهو الصبر المصحوب بالتلطف والتعفف وبحسن مقابلة أذى  
المدعوين بالصفح والإحسان فيقول سبحانه [ فاصبر صبراً جميلاً ]  
" المعارج : ٥ " .

مع التوجيهات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم تؤكد أن القائد  
المتجرد إلى الله والمتعلق برضوانه ربه لا يعيق حركته وإعراض  
معرض ولا ضعف تابع بل يثبت على سعيه الحثيث للوصول إلى الهدف  
المنشود فالصبر هو الإرادة البانية والعزيمة الراسخة التي يمكن من  
خلالها تحقيق المأمول وما خاب سعي قائد إلا يوم ابتلى بياس مقعد أو  
إحباط هازم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم مكتظة بنماذج فريدة في  
هذا الإطار .

وهاكم بعضاً من نماذج صبره صلى الله عليه وسلم

المثال الأول : روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أدع الله على المشركين ، قال [ إني لم لأبعث لعاناً ، وإنما بُعثت رحمة ] .

المثال الثاني : روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ، فقال [ لقد لقيت قومك ، فكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد باليل بن كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال إن الله قد سمع قول قومك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .. قال [ فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك ، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك وإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ] ، وفي سيرته صلى الله عليه وسلم عجائب وغرائب يُرجع إليها .

٤) الأسوة الحسنة

بديهي أن القائد هو المثال الذي يُحتذى ، والنموذج الذي يُتبع ، ولذلك تعهد الله تعالى أنبيائه ورسله بكمال الخلق وتمام الخلق ورفعهم أعلى درجات الفضل وأسمى معارج الكمال فكانوا أسوة للاقتداء قال الله تعالى [ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه وإذا قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم

لأبيه لأستغفرن لك ربي وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ] " الممتحنة : ٤ "

كما قال تعالى [ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يقول فإن الله هو الغني الحميد " الممتحنة : ٦ " ، لقد خاطب الله تعالى أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يجعلوا قدوتهم رسولهم الكريم وذلك بقوله [ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ] " الأحزاب : ٢١ "

من هنا يتضح أن القائد الماهر هو الذي يصطبغ بما يدعو إليه ، ويتحلى بأسمى الأخلاق ويزدان بأعلى السمات ، فرسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة العظمى جُبل على حُسن الخُلق ووصفه الله تعالى بقوله [ إنك لعلى خُلق عظيم ] " القلم : ٤ " ، ثم منحه الله تعالى رتبة الرحمة العامة فقال [ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ] " الأنبياء : ١٠٧ " ، ويبين أنه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقال [ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ] " الأحزاب : ٦ " ، وأكد سبحانه صفة نبيه بالرحمة إذ أنه موصوف بركة القلب وشفافية الطبع وحُسن الخُلق وصدق العاطفة والحرص على اتباعه ، والخشية عليهم أن يصابوا بمكروه فقال سبحانه [ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما غنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ] " التوبة : ١٢٨ "

هذا القاموس المشرق لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يجب أن يتحلى به كل قائد يسوس الآخرين حتى يخرج من خلال ريادته نماذج على هذا الطراز العجيب ففاقد الشيء لا يعطيه .

٥) مكارم الأخلاق ومحاسن الشيات زاد القائد الناجح

اللين وسيلة التواصل والمودة طريق الانسجام ، والمحبة معبر الألفة ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد من له خلق كريم حيث نسجه الله تعالى على أسمى الأخلاق وأروع المكارم حيث قال [ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر وإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ] " آل عمران : ١٥٩ " ، والمتأمل في هذه الآية يلحظ أن الباء السببية التي أوضحت عناية الله تعالى بنبيه عليه الصلاة والسلام أي بسبب رحمة الله لك كنت لين الطبع كريم الخلق ، سمح السجايا ، كثير العطايا ولو كنت غير ذلك لما نجحت مهمتك مهما بلغت دعوتك ، إن في هذا لبلاغاً لكل قائد أن مهمته لن يكتب لها النجاح ما لم يصطبغ بهذه الأخلاق الكريمة ، من هنا نرى أن الله تعالى وجه نبيين كريمين وهما موسى وهارون عليهما السلام حين أمرهم بالتوجه إلى فرعون الطاغية الجبار فقال [ أذهب إلى فرعون إنه طغى " ٤٣ " فقولاً له قولاً لناً لعله يتذكر أو يخشى " ٤٤ " طه " ، وإن مائدة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المقام متعددة الألوان حيث برز حسن خلقه في كل مقام مع الكبير والصغير والرجل والمرأة والمقبل والمدبر .

٦) التسامي عن الأغراض الشخصية والمصالح الذاتية

إن هذه الصفة تعتبر المرتكز الرئيسي للقائد ، والرائد المخلص حيث إن العبودية الحقّة لن تنال ما لم يتنزه العبد عن حطام الدنيا ومطامع الأهواء وهذا هو الرسول الأعظم أسوة القادة ، ونموذج الريادة يذكر على لسان القرآن [ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من

المتكلفين إن هو إلا ذكر للعالمين ] " ص : ٨٦ : ٨٧ " ، يتبين أنه لا يبتغي أجراً يؤخذ ولا مثوبة من أحد تنال بل المبتغى رضوان الله تعالى ، ولقد كانت سنة الأنبياء على هذا الصراط السوي فما كانوا ليطلبوا عرضاً دنيوياً ولا متاعاً فانياً فكل من نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام قد قال لقومه [ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ] " الشعراء ١٠٩ - ١٢٧ - ١٤٥ - ١٦٤ - ١٨٠ "

لقد تكررت الآية خمس مرات في خمسة مواضع ذلكم أن كل نبي من الأنبياء الذين سبق ذكرهم كان يزيل بهذه الخاتمة مبيناً مقصده في صدق التوجيه ونزاهة الذات والإعراض عما في أيدي الناس وأن المبتغى رضوان الله تعالى .

ولقد خاطب الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم خطاباً صريحاً ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان أزهى الناس غير أن التوجيه الإلهي الحكيم كان بقصد اتباع المنهج وسلوك الصراط المستقيم قال تعالى [ لا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ] " طه : ١٣١ "

وإننا لنعلم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ذا نفس أواية وروح وثابة مع قلب نقي وفؤاد تقي ، يعضد ذلك كله إحساس رهيف وشعور شفيف تيامي عن الدنيا ومتعها والأهواء ولذائذها ، وحين عرضت قريش عليه المال والجاه والنساء فأبت نفسه الكريمة وتسامى عن كل العروض قائلاً [ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ] ، وكذلك حين عرض عليه جبريل أن يقلب له جبال مكة ذهباً ما كان نفسه إلا أن

تسأل معبراً عن فطرته التي فطره الله عليها قائلاً [ أحب أن أكون نبياً عبداً لا نبياً ملكاً أجوع يوماً فأصبر ، وأشبع يوماً فأشكر ] ، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم أمته بقوله [ أزهّد في الدنيا يحبك الله وأزهّد فيما عند الناس يحبك الناس ] رواه ابن ماجه وغيره .

(٧) إنزال الناس منازلهم

من حكمة القائد التعامل مع الناس حسب مقتضيات الغاية العظمى ألا وهي اجتذابهم إلى سبيل الهدى وتحفيزهم في البناء والعمل وإن من محاسن القيادة أن تدرك كيفية التخاطب مع الآخرين ، فهاكم النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب قادة العالم في عصره بخطاب حضاري راقى المستوى عالي السماحة فحين خاطب كسرى قال [ من محمد رسول الله إلى قيصر عظيم الروم أسلم تسلم وإلا فإن عليك إثم الأربعين ] ، ثم ذكر قوله تعالى [ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ] ، فلحظ في الخطاب أنه خاطب قيصر بعظيم الروم ثم وجه خطابه أيضاً بكلمة أسلم أي لربك وربى ورب العالمين ثم دعا إلى حوار يتساوى فيه الطرفان ، والقرآن يعلمنا إنزال الناس منازلهم فهو حين ينادي السابقين من الأقبام الذين نزلت فيهم رسالات بـ [ أهل الكتاب ] يُعتبر اعترافاً منا بأنهم سابقون في المعرفة ، ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما ترويه عائشة رضي الله عنها [ أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم ] رواه مسلم ، وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم [ ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا ] رواه ابن داود والترمذي وغيرهما ، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ إن من إجلال الله تعالى



إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي منه والجافي عنه  
وإكرام ذي السلطان المقسط ] رواه أبو داود .

٨) المنهج الشوري

إن القائد الماهر هو الذي يعكف على استشارة قومه حيث الشورى  
مبدأ رصين أو تبادل معرفي هائل ، حيث أن الاستئثار بالرأي والتجاوز  
عن رأي الآخر عزل للمعرفة وتضييق لمساحة البحث فمهما أوتي الفرد  
من معرفة فما أوتي منها إلا القليل لقوله تعالى [ وما أوتيتم من العلم  
إلا قليلاً ] " الإسراء : ٨٥ " ، كذلك بأن الشورى سبيل إلى تحفيز  
الآخر ليبيد جهداً ويبذل طاقة ويقدم رأياً حيث لا يصبح الفرد امعه لا  
كيان له ، وقد أنزل الله تعالى سورة سماها الشورى وفيها قوله [  
وأمرهم شورى بينهم ] " الشورى : ٣٨ " ، وأمر رسوله صلى الله  
عليه وسلم بأن يشاور أصحابه فقال [ وشاورهم في الأمر ] ، ومسيرة  
الرسول صلى الله عليه وسلم مكتنزة بهذه المواقف الرائعة في بدر وفي  
الأحد وفي الأسرى ، وعلى هذا النسق معني أبو بكر وعمر وعثمان  
وعلي .

## خاتمة

إن ما سبق ذكره ليس إلا ومضات من عوالم النور ورشقات من كنوز المعارف حيث للموضوع إشراقات وتجليات وحقائق باهرات ولا يسعف الوقت بتفصيلها كما لا يمكن لفرد استيعاب هذا الموضوع من شتى جوانبه وعميق إفرازاته لكن صفوة القول إن القيادة الحكيمة لن تتبع إلا من مصدر مشرق القلب كريم النفس صافي الرد خالص العبادة ولن تنفع إلا إذا وقعت في قلب ندي مزهر ونفس مؤمنة تواقّة أو عقل نفاذ مدرك حينئذ تلتمح الصلة وتنتج الأجيال القيادية التي تحمل عبء قضيتها وتفجر طاقاتها فالنبي صلى الله عليه وسلم شحذ همم أمته فجعل من الصبية أبطالاً ومن الشيوخ شباباً ومن النساء ماجدات طاهرات يتقدمن الصفوة في معارك الحياة .. وأنني لأرى أن المكوث على بحث القيادة ومنطلقاتها واجب من أهم الواجبات .

أسأل الله تعالى أن يعيننا جميعاً للقيام به والله وراء القصد